الجزائر بعد 50 سنة من استقلال الأرض
"ماذا عن اللغة العربية "

سعيدي نسيمة كلية الآداب واللغات الجزائر

الملخص :

خمسون سنة تمر وتعم البلاد احتفالات رسمية وشعبية من دون أن ينسى الشعب الجزائري ويلات فرنسا .و لعله ليس غريبا عليكم أن فرنسا قد ركزت سياستها في الجزائر منذ بداية الاحتلال على طعن الشخصية القومية للشعب الجزائري في:

أولا: لغتها القومية وهي اللغة العربية .

ثانيا: تراثها الثقافي والحضاري.

وذلك حتى تعوق عملية البعث القومي العام للشعب الجزائري التي يمكن أن تنهض في يوم من الأيام .

فالمداخلة عبارة عن رصد لواقع اللغة العربية في الجزائر بعد 50 سنة من الاستقلال من خلال السؤال التالي :هل استعادت لغة القرآن الكريم مكانتها المرموقة في جميع ميادين حياة الجزائريون بعد 50 سنة من الاستقلال للإجابة سنحاول اظهار دأب الجزائر منذ استرجاع السيادة الوطنية على الحرص على تعليم لغتها و نشرها ، مع إماطة اللثام عما يخطر على البال عادة بأن الجزائر أصبحت تستخدم العربية في جل الميادين ,إلا أن الواقع يتبث عكس ذلك ,فالجهود المبذولة من طرف علماء الجزائر في بلورة قوانينها جهودا جبارة أتت بثمارها عبر مسيرة خمسون سنة , ومازال أبناء الجزائر الغيورين على مبادئها يبذلون جهودا

أخرى لتيسير هذه القوانين وإيصالها إلى أذهان الأجيال الصاعدة من أجل فهمها واستعمالها استعمالا متجددا في مظهره أصيلا في أسسه متينا في صياغته.

خلاصة بحثنا أن اللغة العربية التي توحد صفوفنا وعقولنا وهي عماد شخصيتنا لا يمكن أن يتم لها الرقي إلا إذا استعملت بالفعل في جميع الميادين.ويا حسرتا على عدم لامبالاة أبنائها بالخطر الذي يحدق بهاو يجب على اللغة العربية أن تساير أسلوب ومضمون عصر الانفجار العلمي وكذا التكنولوجي مع ضرورة تربية الجيل الحالي على التشبث بالثقافة العربية الأصيلة.فالجزائر عبر مسيرتها الطويلة ومن خلال تجارب أبنائها في مختلف مظاهر حياتها الفكرية والعملية والأدبية والفنية والسياسية والاقتصادية ,أظهرت للعالم تحديات تعليم اللغة العربية في ضوء الفرانكفونية وحاولت مسح آثار الاستعمار السابغة في شخصية الشعب الجزائري. وفي الأخير لن يبقى الجزائري يسأل السؤال الخطأ ماذا قدمت الجزائر لشعبها ولكن السؤال الذي يجب أن يطرحه كل جزائري هو ماذا قدمت أنا للجزائر وللغتي العربية.

نص المداخلة :

مقدمة :

لا يشك عاقل منصف في أن اللغة العربية تمتلك من الخصائص والمقومات الذاتية ما يؤهلها إلى ساحة الشهود الحضاري، غير أن كل ذلك غير كاف لجعل اللغة العربية لغة عالمية، ما لم يفكر في العوائق الحقيقية وكذا الموضوعية والعلمية والعملية كل من أصحاب القرار السياسي وعلمائها حتى يدفع باللغة العربية للعودة للساحة العالمية من جديد . وفي سبيل تعزيز جهود ترقية اللغة العربية، وأيضا لأجل أن نضم جهدنا إلى الجهود التي تصب في خدمة العربية لنجعل منها لغة قادرة على الصمود والتكيف والتجاوب وتحقيق الانسجام اللغوي والتواصل الثقافي بين العرب وبين غيرهم من الشعوب الأخرى

في ظروف ما يسمى بالعولمة . وإن اللغة العربية التي توحد صفوفنا وعقولنا وهي عماد شخصيتنا لا يمكن أن يتم لها الرقي إلا إذا استعملت بالفعل في جميع الميادين ويمكن القول إن نقطة الارتكاز التي يقوم عليها هذا البحث هي أولا انطلاقنا في تناول للموضوع من خلية واضحة تتمثل إجمالا في مفهوم كيف تستعمل اللغة العربية في الجزائر وأين .

تولي الجزائر اهتماما كبيرا بعملية التعليم في جميع الأطوار التعليمية وإن تعليم مادة اللغة العربية في مختلف المراحل التعليمية يعد من أهم الاهتمامات لما لها من أهداف وقيم تسهم في ربط النشء بلغة القرآن الكريم والعلاقة وطيدة بإرساء مقومات الأمة العربية الإسلامية.

كما أن ما تقدمه الجامعة الجزائرية لطلابها هو جزء من الكل الذي يمكن للتدريس تحقيقه إذا سار مساره الصحيح لأن التدريس يعكس جميع جوانب الحياة الإنسانية ولكن عندما يفشل التدريس في تحقيق أغراضه وأهدافه فمن المتوقع بدرجة كبيرة جدا أن التعليم الجامعي يصبح يشكل قضية كارثية في جميع دول العالم ،وهناك عوامل أسهمت بشكل أو بآخر في حدوث ما يمكن أن نسميه إشكالية أو أزمة التعليم الجامعي .وإن تعليم اللغة العربية بالجامعة الجزائرية يقودنا إلى الوقوف على واقع نظام التعليم الجامعي والتساؤل عن مدى استخدام اللغة العربية بكل الجامعات الجزائرية ، و ما نأسف له أن اللغة العربية تدرس بصفة محدودة جدا بأقسام اللغات الأجنبية ، ومغيبة في جامعات أخرى كالطب والهندسة والميكانيك وغير ذلك .وبالرغم من العناية التي توليها الجزائر بتعليم اللغة العربية في الجامعة ، إن تمت أصوات تدعوا إلى بذل المزيد من الاهتمام للدفع بتعميم استخدام اللغة العربية في كل الجامعات الجزائرية .ومما لا شك فيه أن البحث في ترقية استعمال اللغة العربية في الجامعة لجعلها وسيلة للاتصال والعلم ، لا يمكن له أن يرقى إلى المستوى المطلوب إلا إذا تحول الجهد الفردي إلى مستوى الجهد الجماعي كما أن ترقية استعمال اللغة العربية والنهوض بها في قطاع الجامعات يتطلب من خبرائها وعلمائها معرفة موضوعية بواقعها ،مع النظر فيه

بالمنظار الذي تفرضه الأحداث دونما تزييف للواقع ،ولا تجاهل للحقيقة ولا إفراط في التفاؤل أو التشاؤم بالمستقبل .

استيعاب الجزائر للسياية الإستعمارية التعسفية :

من بين جميع الدول العربية ، استوعبت الجزائر أثر أثقال الحقبة الاستعمارية نظرا لسطو تعليم الفرنسية من الحكومة الذي غزا معظم الحياة الفكرية لمدة 132 عاما، ومن خلال سياسة المتعسفة وجدت محاولات لقمع المواطن الجزائري والهوية الثقافية وإعادة صياغة وتشكيل المجتمع الجزائري الحر وفقا لخطوط الفرنسية. وقد كانت آثار هذه السياسة مع الأسف لا تزال تتردد أصداؤها في جميع أنحاء الجزائر بعد 1962، وربما أكثر وضوحا في تركة نظام اللغة المزدوجة أي إلزامية تعلم اللغة الفرنسية على كل متعلم جزائري في جميع الأطوار واستعمالها في تدريس العلوم في الجامعة .وقد صممت و بشكل صريح السياسة الاستعمارية الفرنسية البلاد من خلال فرض اللغة الفرنسية والثقافة . وأشار تقرير مكتوب عن الفرنسيين عشية الغزو الفرنسي في 1830 أن معدل معرفة القراءة والكتابة في الجزائر كان 40 في المائة وهو معدل رائع. وكانت المدارس القرآنية هي المسؤولية في المقام الأول لمحو الأمية في الجزائر، والقراءة يعني القدرة على تعلم القرآن الكريم. وبعد عشرين عاما، واصلت سوى نصف المدارس للعمل نتيجة للسياسة الاستعمارية الفرنسية من تفكيك نظام التعليم .ولأجل الوقوف ولو بشق صغير على الحركة الإصلاحية التي اتبعتها الجزائر في مجال التربية والتعليم, لابد من النظر في قضية التعريب الذي انتهجته السياسة الجزائرية بعد الاستقلال، حيث لن نخوض في قضية التعريب في هذا المقام بل لمحنا إليه فقط .

آثار الاستعمار ماثلة في شخصية المتعلم:

من أجل توضيح هذه المسألة يجب العودة إلى تاريخ تعليم اللغة العربية في الجزائر الاستعمارية. لأنه كانت دراسات قد أقيمت ضمن حدود ضيقة للجزائر المستقلة كما يسميها بعض الباحثين[1]. وعموما كثيرا ما أثبتت القوة الاستعمارية ببساطة وصراحة على أنها تنتهج سياسة معادية للعربية[2]. وإن الإرادة الشعبية في التعويل على الطاقات الذاتية هما اللذان يضمنان بناء المجتمع القوي الذي يصنع الازدهار ,ويوفر أسباب الحماية الفعالة للوطن والمواطنين من طمس الهوية العربية وبما أن إرادة الشعب الجزائري لم تكن متحررة أثناء الاستعمار الفرنسي فلم يكن الجزائري قادر على أن يعبر عن نفسه وكم كان محزنا من أن الجزائري لم يكن يستطيع أن يبدي رأيه في مجال تعلمه بلغته العربية التي طمسها المعمر الفرنسي .فقد كان جورا كبيرا على اللغة العربية في ظل الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية وهذا أمر وإن مر عليه زمن طويل إلا أن تأثيره لا يزال سير المفعول. ومنه عن الأمر لا يقل أهمية عن القضايا المطروحة في الوقت الراهن. لشرح هذا نحن بحاجة إلى العودة إلى تدقيق طويل في وضع اللغة العربية في الجزائر.رغم أن عهد الاستعمار المباشر قد ولى , إلا أن أدوات الاستعمار من حكام وعملاء فكريين ما زالوا يعملون على تثبيت لغة المستعمر ونشرها بين الناس وإضعاف اللغة العربية , وإقصائها من واقع الحياة بوسائل وأساليب شتى، احدها فرض تدريس العلوم بلغة الاستعمار، ناهيك على أن اللغة الفرنسية تعد اللغة الثانية للجزائر[3] سواء في التعامل اليومي أو في فرض تدريس لغة الاستعمار نفسها ومن المراحل الأولى للتعليم بالجزائر. لذا نجد أن المستعمر يسعى أول ما يسعى لفصل البلدان عن هويتهم وتفكيك أوصارهم،وحل ترابطهم بتهميش لغتهم ،وربطهم بلغته وقيمه ومبدئه

---

[1]. Taleb-Ibrahimi, *Les Algériens et leur(s) langues(s)* (Algiers, 1995); M. Benrabah, *Langue et pouvoir en Algérie. Histoire d'un traumatisme linguistique* (1999); G. Grandguillaume, 'Les enjeux de la question des langues en Algérie', in *Les langues de la Méditerranée*, eds. R. Bistolfi and H. Giordan (2002), pp. 141–65.

[2] G. Grandguillaume, 'la politique coloniale n'avait fait quasiment aucune place à cette langue, ni dans l'enseignement, ni dans l'administration du pays': 'Les débats et les enjeux linguistiques', in *Où va l'Algérie?* eds. A. Mahiou and J.-R. Henry (2001), pp. 273–87.

[3] وزارة التربية والتعليم " التخطيط بنظام الوحدة الدراسية " مجلة رسالة التربية مسقط ، العدد الثاني ،نوفمبر. 2002

بالإضافة إلى نهب خيرات البلاد واستعباد العباد. استهدف الاستعمار الفرنسي في بلادنا اللغة العربية بصفة بشعة كما استهدف باقي مكونات الشخصية الوطنية , وحاربها لسانا , وكتابة ومنع تداولها بين الناس بشتى الطرق , وفي الدراسة والتدريس , وفرض العجمة والاستهجان اللغوي[4] . ومن المعروف أن الاستعمار الفرنسي للجزائر لم يستهدف الأرض وحدها وإنما استهدف الشخصية الجزائرية نفسها ,مما جعله يخطط من أجل القضاء على مقوماتها الدينية واللغوية والتاريخية [5] ،وهذا يؤدي إلى عملين خطيرين فصل الشعوب عن رابطتهم وتوثيق رابطتهم بالمستعمر،وتبقى آثار هذا الاستعمار ماثلة في هوية بعض الشباب وانتمائهم لدى نجد اللورد كرومر عند غزوه لمصر يسعى لوضع خطة تعليمية تهدف إلى إبعاد اللغة العربية عن ميدان التعليم واستبدال بها اللغة الإنجليزية وقد رد عليه حافظ إبراهيم بقوله :

" قضيت على أم اللغات وإنه ... قضاء علينا أو سبيل إلى الردى "[6]

ولا شك أن اللغة ليست مجرد تعبير عن مشاعر أو معان وليست مجرد تواصل فكري وإنما هي هوية وانتماء ولا هوية لمن لا لغة له ولا انتماء .

واقع اللغة العربية قبل الغزو الفرنسي:

لا يخفي على الجميع أن التعليم في الجزائر والمدرسة الجزائرية مرت بظروف صعبة مازالت تعاني منها حتى الآن , وأنها أنشئت إنشاء قبل غزو الجزائر من قبل فرنسا وذلك من أجل التوصل إلى فهم أفضل لما كانت عليه.ومما يمكن قوله إن الثورة الفرنسية لم تحدث على الأقل في البداية قطيعة تامة مع الماضي في مجال الدراسات العربية. وعلى الرغم من إلغاء الامتيازات التي تلت تفكك مؤسسة من مترجمين في خدمة السلك الدبلوماسي

---

[4]محمد الشريف عباس وزير المجاهدين - اللغة العربية من محنة الكولنيالية إلى إشراقة الثورة التحريرية منشورات المجلس الأعلى للغة العربية 2007 ص19

[6] ديوان حافظ إبراهيم من قصيدة قالها في وداع اللورد كرومر عند استقالته وأشار فيه إلى ما أراده كرومر من جعل دراسة أكثر العلوم في المدارس باللغة الإنجليزية ج2 ص28.

الفرنسي، وجزءا من نسل الأسر القنصلية المنصوص عليها في الشرق الأوسط، الذي لم يختف بين عشية وضحاها وذلك في محاولة لإعادة إحلال السلام بعد أعمال العنف من مفجري الثورة ، وظلت الوضعية اللسانية بالجزائر مرتبطة بمدرسة اللغات الشرقية إلى أن تم استقلال عنها شيئا فشيئا خلال القرن التاسع عشر. وبدأت الشعارات الفرنسية تغزو المنطقة مثل تكافؤ المواطنين وتجديد الحياة الأخلاقية من أجل استخدام على نطاق واسع من وطنية مشتركة ولغة وطنية موحدة ووحيدة بالجزائر المحتلة تتمثل في اللغة الفرنسية وبدأ الوضع الجديد يمنح فرنسا قوة السطو على اللغة العربية تماما مثل السطو على شعبها. في حين ظهر البعض من الذين كانوا يدعون لتنقية اللغة الفرنسية ، والترشيد النحوي لها ، حسب النظام الأساسي للمدرسة، فكان لكل صاحب كرسي الحق في كتاب نحوي للغة . وشمل ذلك ليس فقط تجهيز المدرسة بأدوات تعليمية ، ولكن اقتراح نماذج منطقية حتى تحقق المدرسة الجديدة المهمة التعليمية والسياسية في آن واحد .ومع ذلك كله كان بعض الاهتمام يعطى للغة العربية قبل غزو فرنسا للجزائر من أجل فهم الجزائريين لهجة وفصاحة وشفويا وكتابيا ,وهكذا كانت البنية الأساسية شبه عديمة والإطارات البشرية الناشئة لا عهد لها بالتربية والتعليم .

الواقع اللغوي بعد اندلاع الثورة:

وكما لا يخفى على أحد أن المدرسة الجزائرية ذاقت أمر المشاكل أثناء اندلاع الثورة الجزائرية المجيدة وكنتيجة لضرورات الغزو العسكري والإدارة في وقت كانت قد أصبحت فكرة الوجود الفرنسي في الجزائر راسخة ثابتة ، وفي الوقت نفسه كانت السلطات الفرنسية تدعو المتدربين العسكريين لتعلم اللغة العربية بتشجيع غير عادي من قبل السلطات الفرنسية الذين حاولوا نشر المعرفة بالعربية[7] فأصبح العسكري والمدني، على منهج تعلم العلوم

[7] The *Moniteur Algérien*, 8 October and 13 November 1835, cited in A. Cour, 'Note sur les chaires de langue arabe d'Alger, de Constantine et d'Oran (1832–1879)', *Revue Africaine*, 68 (1924), 20–44, reported the introduction of a prize worth 150 francs for the best student of Arabic at Algiers.

الإنسانية باللغة العربية.[8]وتغيرت وجهة فرنسا للغة العربية بشكل عدائي توضح كثيرا بعد أربع سنوات من اندلاع الثورة عندما جاء ديغول إلى السلطة في 1958،حيث كان الوضع فيما يتعلق بتدريس اللغة العربية في الجزائر حرجا للغاية وفقا للتقارير التي كانت ترد من قبل المفتشين وكان هناك هجر للدورات العربية ونقص في المعلمين لفرض الحد الأدنى من التعليم الإلزامي بالعربية.[9] وكانت سياسة ترغيب وترهيب اللغة العربية بالجزائر تتذبذب بين إقصاء وقبول حسب متطلبات الحرب وانجازات الثوار فتم إدخال اللغة العربية في التعليم العام على جدول الأعمال في الجزائر العاصمة بين عامي 1961 و 1962.وتم تعيين محمد الصادق الحاج، الذي كان منذ 1956 ناظرا بمدرسة Musulman d'Alger Franco، والمفتش العام للغة العربية في عام 1961 وهذا كان يرمز رغبة الحكومة في تحقيق الانفتاح. لكن تصلب المواقف التي اتسمت بها السنوات الأخيرة من الحرب جعلت حالة من التصلب ضد الرجل من الجانبين. وزاد حدا لعدائية مع معلمي هذه المدرسة بعد الاستقلال، وتم من المشاركة بفعالية في صياغة للسياسة التعليمية للدولة الجزائرية وكان هذا على عكس ما يحدث في تونس والمغرب بسبب اتهامهم بالتواطؤ مع السلطات الفرنسية.[10]هذا كان حال اللغة العربية المطهرة المقدسة لغة القرآن والحديث الشريف تقرر على طاولات عريضة ومغرية من أجل الطمس والدفن المتعفن لها والمؤسف أن الجزائر عرفت وشاركت في إقصاء اللغة العربية خاصة من قبل من خلفهم الاستعمار لحماية مصالحهم بهدف العودة التي يتخيلونها ويحلمون بها.

الواقع التعليمي بالجزائر بعد الاستقلال:

إن اللغة العربية في بلادنا هي اللغة الوطنية والرسمية ,ومقوم أساسي من مقومات شخصيتنا الجزائرية ,لذا يتعين على أفراد الأمة أن يتمسكوا باللغة العربية تمسكهم بالحياة ويعملوا على

[8] AN F[17] 7677, Extrait du registre des délibérations du conseil royal de l'instruction publique, 16 August 1839. 1838, 25. 119.
[9] P. Counillon, 'L'enseignement de l'arabe en Algérie', *Bulletin de l'Académie d'Alger*, 2 (1958), 62. There were 136 posts for teachers of Arabic in secondary education.
[10] *Annuaire de l'Afrique du Nord* (1963), p. 536.

تطويرها وتعميمها باستمرار حتى تتبوأ مكانتها الحقيقية ,فهي لغة القرآن والحضارة .ومنذ استرجاع الحرية والاستقلال إلى اليوم نالت اللغة العربية تدريجيا حظها في برامج التعليم ومواقيته,ونالت نصيبها في البرامج التعليمية واحتلت مواقعها في كل مراحل التعليم والتكوين ومستوياتها .[11] من بين جميع الدول العربية استوعبت الجزائر أثر أثقال الحقبة الاستعمارية نظرا لسطو تعليم الفرنسية من الحكومة الذي غزا معظم الحياة الفكرية لمدة 132 عاما، ومن خلال سياسة المتعسفة وجدت محاولات لقمع المواطن الجزائري والهوية الثقافية وإعادة صياغة وتشكيل المجتمع الجزائري الحر وفقا لخطوط الفرنسية. وقد كانت آثار هذه السياسة مع الأسف لا تزال تتردد أصداؤها في جميع أنحاء الجزائر بعد 1962، وربما أكثر وضوحا في تركة نظام اللغة المزدوجة أي إلزامية تعلم اللغة الفرنسية على كل متعلم جزائري في جميع الأطوار واستعمالها في تدريس العلوم في الجامعة .وقد صممت و بشكل صريح السياسة الاستعمارية الفرنسية البلاد من خلال فرض اللغة الفرنسية والثقافة . وأشار تقرير مكتوب عن الفرنسيين عشية الغزو الفرنسي في 1830 أن معدل معرفة القراءة والكتابة في الجزائر كان 40 في المائة وهو معدل رائع حتى بالمقاييس الحديثة. وكانت المدارس القرآنية هي المسؤولية في المقام الأول لمحو الأمية في الجالجزائر، والقراءة يعني القدرة على تعلم القرآن الكريم. وبعد عشرين عاما، واصلت سوى نصف المدارس للعمل نتيجة للسياسة الاستعمارية الفرنسية من تفكيك نظام التعليم .

فرنسا أقامت جهازا تربويا في الجزائر لأجل القضاء على اللغة العربية:

لعله ليس غريبا عليكم أن فرنسا قد ركزت سياستها في الجزائر منذ بداية الاحتلال على طعن الشخصية القومية للشعب الجزائري في:

أولا: لغتها القومية وهي اللغة العربية .

[11] همزة وصل مجلة التربية والتكوين ص252

ثانيا : تراثها الثقافي والحضاري

وذلك حتى تعوق عملية البعث القومي العام للشعب الجزائري التي يمكن أن تنهض في يوم من الأيام .ومن هنا يتضح لنا لماذا أقامت كل جهازها التعليمي في الجزائر عل أساس القضاء على اللغة العربية وكذالك القضاء على الثقافة العربية الإسلامية بقصد قتلها معا , حتى يكون للأجيال الجزائرية الناشئة تكوينا مشوها وبالتالي تنشأ تلك الأجيال بلا صلة أي يجهلون لغتهم العربية , وثقافتهم . فشنت القيادة الفرنسية , منذ بدايات الاحتلال حربا على اللغة العربية تمثلت في إغلاق معاهد التعليم وتقليص عدد الكتاتيب القرآنية وكذلك عدد المساجد التي كانت أمكنة للتعليم .[12] ولعل هذا ما يفسر لنا السياسة الاستعمارية حيث يبادر المستعمرون منذ البداية إلى توجيه سهامهم المسمومة إلى اللغة والثقافة .لهذا عاشت الجزائر في طول فترة الاحتلال المظلمة عيشة انعزال تام عن البيئة الجزائرية , لأنها كل شيء كان بالنسبة إليها أجنبي يهتم بقضايا بعيدة كل البعد عن اهتمامات وقضايا البيئة الجزائرية والثقافة العربية .ولقد كان الهدف من التعليم في عهد الاحتلال هو أن تكون فرنسا جيلا بدون قومية يتلائم والسياسة الفرنسية ,أي جزائريين يكونون في خدمة أهداف الاستعمار. مهما حاولت فرنسا أن تنسي الشعب الجزائري رؤوس نفسه وتمحوا لغته العربية التي كانت في أيام العزة والكرامة سيدة الميدان .

إلا أنه ظل مستبسلا ثابتا مستميتا في تشبته بلغته العربية التي يعرف يقينا من أنها مفتاح باب عزته ومصدر قوته ونبع حضارته وإطار حصانته والعروة الوثقى في ربط وحدته وذلك إذا أراد أن يعيش محترما سيدا بين أمم المعمورة [13].

خمسون سنة من الإنجازات:

---

[12] محمد ميلي وضع العربية خلال العهد الاستعماري منشورات المجلس الأعلى للغة العربية 2007 ص57

[13] محمد الصالح بوسلامة العربية في نصوص الثورة الجزائرية وتطبيقاتها أثناء الكفاح المسلح – اللغة العربية من محنة الكولونيالية إلى إشراقة الثورة التحريرية منشورات المجلس الأعلى للغة العربية 2007 ص431

الجزائر تحتفل بنصف قرن من الإستقلال ،لأنها تطوي هذه المرة صفحة نصف قرن من الحرية، بعد تحقيق نجاحات في محو الآثار العميقة التي تكرها الاستعمار الطويل بفضل التقدم المحقق، فكانت مهمة القادة خلال هذه المرحلة التكفل بحاجيات المواطن الجزائري ،لاسيما الاجتماعية منها لأمة ناشئة عانت من ويلات الأمية وكل أشكال الطمس لمعالمها الدينية، كما أثبتث الجزائر صمودها مرة أخرى أمام العشرية السوداء ،واستأنف النمو بعد ذلك عند نهاية التسعينيات في ظل انتخاب الرئيس عبد العزيز بوتفليقة الذي سطر برامج طموحة كبرى ، فرهانات الجزائر كانت أكبر وأضخم حيث انتقلت من بضع مئات من الطلبة سنة 1962 إلى مئات الآلاف حاليا ، فعرف قطاع التربية منذ الاستقلال عدة استراتيجيات للتعليم ساهمت في تلقين اللغة العربية وترسيخ الثقافة الوطنية والدينية التي عمل الاستعمار على محوها لطمس الهوية الجزائرية وإبعاد الشعب عن مقوماته من خلال سعي فرنسا لتعليم لغتها فقط، فمنذ الاستقلال مر إصلاح المنظومة التربوية بفترات من التغيير .تُتهم اللغة العربية الفصحى بالجمود والقصور على الإلتحاق بركب الحضارة، ما جعل الكثيرين على مر السنين يرفعون شعار استخدام لغات أجنبية لتكيفها مع الواقع الجديد . فالمساعي الجادة والنية الصادقة للسلطة الجزائرية التي كانت بعد الاستقلال تجسّدت في سياسة التعريب ، لكن تراوحت نظرة الدوائر الرسمية التي تداولت على السلطة في جزائر ما بعد الاستقلال تجاه قضية التعريب، بين المرونة واللين ، والتشدد والتصلب ، وسنت القوانين والمواثيق والدساتير، التي تمجد التعريب، وتعطي اللغة العربية المكانة التي تليق بها، وحتى وإن توافرت النية الصادقة عند البعض منهم، إلا أنها سرعان ما تختفي، لكونها لم تجد الدعم الكافي الذي يجعلها تتجسد في الميدان.فالصراع بين المعربين والمفرنسين ، كانت المشكلة اللغوية في الجزائر.

ورغم مرور 50 سنة على استرجاع السيادة الوطنية إلا أن مشكلة اللغة العربية مازالت قائمة حيث أن تيارا فرانكوفوليا يمارس ضغوطات من أجل جعل اللغة الفرنسية اللغة الأساسية

في التدريس ،ومن يدّعي أن اللغة العربية ليست لغة علم فهو مخطئ، فالعيب ليس في اللغة العربية بل في الفرد الذي لم يطورها، أما بالنسبة للجزائر فقد نجحت في تعريب الأطوار الدراسية الإبتدائي، المتوسط، الثانوي، الدوائر الإدارية التي تملك علاقة بالمواطنين، الوثائق فيها باللغة العربية فهذا معناه أننا قطعنا شوطا كبيرا خاصة أن عمر الدولة الجزائرية لم يتعدى الخمسين سنة . كما أن تعدد الأنساق اللغوية التي يستخدمه الجزائريون، ليس خاصا بالجزائر وحدها فالبلدان العربية تعاني من نفس الإشكال فنحن لسنا في حاجة إلى بناء جديد بل نحن في حاجة إلى تطوير كيف نطور وكيف نصلح؟ وهنا يأتي دور البرامج التربوية ،فبالمنهاج التربوي نخلق آليات لنقرب اللغة العربية وآدابها للطلبة، لنؤكد أن الأصل في تطور العلوم كان بداية عند العرب.

من هنا يأتي دور المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر، المتواجد بشارع فرنكلين روزفلت، بالعاصمة وهو هيئة إستشارية لدى فخامة رئيس الجمهورية أنشئ بموجب الأمر رقم 30/96 المؤرخ في 21 ديسمبر 1996 المعدل والمتمم للقانون 91-05 المؤرخ في 16 جانفي 1991، من مهامه ترقية اللغة العربية، وتجسيدا لمساعيه قام بإصدار قرارات كلها تتعلق بترقية اللغة العربية في مختلف مجالات الحياة، أما الآن فهو بصدد العمل في الرقمنة لكي تساير اللغة العربية لغة الحاسوب والبرمجيات. ويرى المجلس الأعلى أن وضعية اللغة العربية أفاقها والرهانات التي تواجهها خاصة بعد مرور خمسين سنة على الاستقلال تمر كسائر اللغات تتطور وتواكب والتغيرات لكن الإشكال قائم في حامل اللغة أي الأفراد الذين لم يهتموا بتطويرها لمسايرة ما هو موجود في العالم .

لأن اللغة العربية هي لغة كسائر اللغات ولها الفضل أنها لغة القرآن ولغة الدين الإسلامي وبالتالي هذا يعزز مكانتها بين اللغات الأخرى، انتشارها في الجزائر منذ القدم راجع لانتشار الإسلام، وفي نظرنا أنها لغة لا ينقصها شيء واتهامها بالتخلف أمر غير معقول فهي صفة تلصق بالمستعملين للغة، فهم الذين يتخلفون أو يتقدموا.

كما أن اللغة العربية واللغة الأمازيغية شقيقتان وتعايشتا منذ سنين لا يوجد مشكل يسمى مشكل الأمازيغية والعربية، الأمازيغية لغة والعربية لغة ،حيث من الحق المحافظة على الأمازيغية وتطويرها لتكمل اللغة العربية في الجزائر،لأنه لو نتج صراع بين هاتين اللغتين ، فستستفيد اللغة الفرنسية على حساب إحدى اللغات . لكن لا يمكن أن نسمح بأن تكون اللغة الفرنسية هي لغة الجزائريين إطلاقا فهو أمر غير ممكن لأنها تبقى لغة أجنبية ومكانتها ستكون بين اللغات الأجنبية ولا يمكن أن تعوض اللغة العربية أو أن نجعل من اللغة الفرنسية لغة رسمية في بلادنا ونحن نملك اللغة العربية واللغة الأمازيغية.

كما يعمل المجلس الأعلى على تطبيق برنامج طموح وواقعي لترسيخ اللغة العربية، وتحبيب اللغة العربية للشعب الجزائري في استعمالها،و لقد نظم المجلس العديد من الندوات الوطنية والدولية لترقية استعمال اللغة العربية، كما سطر توصيات لترقية اللغة العربية من بينها:

نشر الوعي بأهمية اللغة العربية في حياة الوطن والأمة باعتبارها عامل وحدة وأداة تنمية وعنوان سيادة.

العناية بالأمازيغية لسانا وتراثا أصيلا ومواصلة الاهتمام باللغات الأخرى باعتبارها لغات أجنبية تحقّق تواصلنا مع الخارج ومعارفه المتجدّدة.

التأكيد على ضرورة وضع سياسة لغويّة جديّة واضحة للجزائر ولسائر أقطار الوطن العربي وسن أو تطوير التشريعات والقوانين المتصلة بتعميم استعمال اللغة العربية في كلّ المجالات المؤسسية من تعليم بكلّ مراحله وتخصّصاته وإدارة واتصال.

دعوة المجامع اللغوية العربية ومجلس جامعة الدول العربية إلى إعادة الاعتبار لاتحاد المجامع العربية وإعطائه الشرعية الكاملة للقيام بأهمّ مهامه وهي التوحيد والتنميط للمصطلحات العلمية والتقنية والتنسيق بين أعمال المجامع ومشاريعها المختلفة الرامية إلى ترقية اللغة العربية .

وضع مخطط لغوي وطني وقومي لترقية اللغة العربية وضعا واستعمالا ونشر الاعتزاز لدى جميع المواطنين ولاسيما الأجيال الناشئة وذلك عبر الأسرة والمدرسة والإعلام والمجتمع بكلّ مكوّناته .

اقتراحات وتوصيات لحل أزمة صراع اللغة العربية في الجزائر:

إن حياة كل لغة مرهونة بحياة أهلها وارتقائها أو استيعابها لمعطيات العصر ، والتعبير عنها تابع لما بذل من جهد الناطقين بها في حفظها وصونها من الدخيل الذي ينخزها ،من هنا جاءت أهمية معرفة واقع اللغة العربية في الجزائر ، لدى فإن نجاح استعمال اللغة العربية يبقى أمر مرهون بما قدمه أبناء الجزائر للغتهم .وعلى الرغم من حكمنا بالإيجاب فإن النتائج المحققة ميدانيا تبقى دون الطموحات المرغوب فيها وذلك لقلة الاهتمام بسمعة اللغة العربية .

الاقتراحات والتوصيات :

هناك توصيات واقتراحات مبثوثة في ثنايا المحاضرات والمناقشات المختلفة وكلها ذات قيمة، ولكن التوصيات العامة هي :

- بما أن اللغة العربية لغة القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة.

- ولغة الحضارة، والتاريخ، والعلم، والثقافة الأصيلة.

- واللغة الرسمية للبلاد بنص الدستور.

- وأداة التعاون والتكامل بين الدول العربية.

- واللغة التي تحتل اليوم موقعا متميزا بين اللغات العالمية في المحافل الدولية.

نعلن أن اللغة العربية اليوم تعاني في الجزائرية مشاكل حقيقية، ولذلك نتعهد بخدمتها بكل الوسائل التي يضمنها القانون حتى تستعيد مكانتها، وسيادتها في كل القطاعات، والمؤسسات.كما نعلن أن دفاعنا عن اللغة العربية لا يعني رفضنا ولا عداءنا للأنساق اللغوية المتداولة في بلادنا، وأن اللهجات المحلية يجب أن تحتل مكانها المناسب في التعامل اليومي، فلا تنافس اللغة الفصحى في مجالاتها، وخاصة في التعليم، والإعلام، وأن اللغات الأجنبية جميعها وسائل للانفتاح على الحضارات الإنسانية الشيء الذي ندعو إلى اختيارها والاستفادة منها استناداً إلى معايير علمية وتربوية صرفة، ونرفض كل أشكال الهيمنة الثقافية واللغوية.

وصايا عامة:

ومن هذه الوصايا التشجيع على الالتحاق بفصول تحفيظ القرآن. إنهاء الحديث عن صعوبة العربية، الحثّ على تعاون المؤسسات المعنية بالعربية عربيًّا وإسلاميًّا. دعم تلك المؤسسات ماديًّا ومعنويًّا، دعوة الدول العربية والإسلامية إلى اعتماد العربية في دواوينها، وتعليمها،العمل على جعل العربية لغة رسمية في المحافل الدولية، دعوة المجامع إلى السرعة في إصدار المعجمات المتخصصة،الإكثار من نشر المعجمات اللغوية[14]. ويمكن أن نرى بسهولة أن بعض هذه الوصايا بعيدة عن الواقع، وبعضها لا يعالج المشكلة معالجة مباشرة، وبعض المشكلات ذات جذور وأبعاد هي بحاجة المعالجة ولا يكفي الدعوة إلى إنجازها.

وعلى الرغم من أن الدراسة حاولت الاستفادة من مصادر مختلفة ومن جهود القائمين عليها تبين أنها مست المشكلة مسًّا رفيقًا، وأظهرت الكثير من علاجاتها على نحو مثالي يصعب تحقيقه ويشك في جدواه، وافتقرت إلى الأبحاث الميدانية الكاشفة أبعاد المشكلة، واتسمت بالتكرار في بعض المواضع لتعلق القضية موضوع البحث بأكثر من جانب. واقتصرت

[14] ظاهرة الضعف العام في استعمال اللغة العربية، ص 89-93.

الدراسة على سرد لمعلومات . وقد أخلّ الإيجاز فجاءت مجملة في بعض المواطن غامضة في مواطن أخرى وظهرت كأنها تعليقات سريعة على جوانب القضية.

وختاما فإن الحفاظ على اللغة العربية وحمايتها والعمل على انتشارها والتمكين لها في جميع ميادين حياة الشعب الجزائري ، هو من صميم الدفاع عن مقومات الشخصية ، واللغة العربية هي القاعدة المتينة للسيادة الوطنية والقومية الإسلامية من خلال ذلك يتأكد لنا أن اللغة العربية قضية وجود وقاعدة كيان وهوية ذات عنوان قومي ورابطة وجدانية وأخلاقية العربي والإسلامي وهي قضية من القضايا ذات الثقل الكبير والتأثير العميق في حاضر الأمة ومستقبلها والحصن الحصين المتراس المتبقي للوجود والامتداد العقيدي الإسلامي فإن ماتت أو طمست فلن يبق لنا شيء والله على ما قلنا شهيد .

خلاصة :

سطرت الجزائر جهودها من أجل الاحتفال بالذكرى الخمسين لاستقلالها ، في أحسن حلة.

وانتظر الشعب الجزائري الذكرى الخمسين للاستقلال بفارغ الصبر، وتهيئت جل المصالح لهذا الحدث ،لأن الثورة الجزائرية العظيمة أعادت الى العالم شعبا جزائريا بهوية حضارية متميزة وحيوية فعالة بعد أن ظن الظانون أنه قد اضمحلت معالمه وبادت لغته وتفككت شبكة علاقاته الاجتماعية.وفي لحظات التاريخ الفارقة في عمر أمة او شعب يهيئ الله من يقوم بمهمة بعث الروح في الجموع. وفي هذه اللحظة الفارقة تكون دعوة المصلح غريبة بعد أن تعايش الناس مع الظلم واستسلموا للأقدار. ففي هذه الرحلة الطويلة والتي مدتها 50سنة ، تعددت الاجتهادات وتنافرت أحيانا الرؤى والأفكار في كيفية بناء شعب محب للغة العربية. فلم تمر السنون الخمسون بانسيابية ولكنها تسير نحو الاستقرار.

خمسون سنة من الحرية والاستقلال ولدت:

أجيالا من الجزائريين تحت ظل علم الجزائر ورايات الحرية ملايين الجزائريين.

حقق الجزائريون فيها ما لم يحققه كثيرون بالنظر للظروف التي مرت بها الدولة الجزائرية والمجتمع الجزائري.

أصبح للجزائر المكانة العليا التي تليق بثورتها العظيمة على مستوى البحث العلمي والتطور.

ومسك الكلام مبروك يا بلدنا الحبيب "الجزائر" على الحرية والاستقلال.

المصادر و المراجع :

اللغة العربية:

- ديوان حافظ إبراهيم من قصيدة قالها في وداع اللورد كرومر عند استقالته وأشار فيه إلى ما أراده كرومر من جعل دراسة أكثر العلوم في المدارس باللغة الإنجليزية ج2 ص28.
- محمد الشريف عباس وزير المجاهدين - اللغة العربية من محنة الكولنيالية إلى إشراقة الثورة التحريرية منشورات المجلس الأعلى للغة العربية 2007 ص19
- محمد الصالح بوسلامة العربية في نصوص الثورة الجزائرية وتطبيقاتها أثناء الكفاح المسلح – اللغة العربية من محنة الكولونيالية إلى إشراقة الثورة التحريرية منشورات المجلس الأعلى للغة العربية 2007 ص431
- محمد ميلي وضع العربية خلال العهد الاستعماري منشورات المجلس الأعلى للغة العربية 2007 ص57
- همزة وصل مجلة التربية والتكوين ص252

وزارة التربية والتعليم " التخطيط بنظام الوحدة الدراسية " مجلة رسالة التربية مسقط ، العدد الثاني ،نوفمبر. 2002

اللغة الفرنسية :

- AN F^{17} 7677, Extrait du registre des délibérations du conseil royal de l'instruction publique, 16 August 1839. 1838, 25. 119.
- *Annuaire de l'Afrique du Nord* (1963), p. 536.
- G. Grandguillaume, 'la politique coloniale n'avait fait quasiment aucune place à cette langue, ni dans l'enseignement, ni dans l'administration du pays': 'Les débats et les enjeux linguistiques', in *Où va l'Algérie?* eds. A. Mahiou and J.-R. Henry (2001), pp. 273–87.
- P. Counillon, 'L'enseignement de l'arabe en Algérie', *Bulletin de l'Académie d'Alger*, 2 (1958), 62. There were 136 posts for teachers of Arabic in secondary education.
- Taleb-Ibrahimi, *Les Algériens et leur(s) langues(s)* (Algiers, 1995); M. Benrabah, *Langue et pouvoir en Algérie. Histoire d'un traumatisme linguistique* (1999); G. Grandguillaume, 'Les enjeux de la question des

langues en Algérie', in *Les langues de la Méditerranée*, eds. R. Bistolfi and H. Giordan (2002), pp. 141–65.

- The *Moniteur Algérien*, 8 October and 13 November 1835, cited in A. Cour, 'Note sur les chaires de langue arabe d'Alger, de Constantine et d'Oran (1832–1879)', *Revue Africaine*, 68 (1924), 20–44, reported the introduction of a prize worth 150 francs for the best student of Arabic at Algiers.